النقد في عصر صدر الاسلام:

انجلى العصر الجاهلي بظهور الدعوة الاسلامية، وكان العصر حافلا بالشعر فياضا به، بسبب اشتعال الحرب بين النبي وقريش، وانسحابها فيما بعد بين المسلمين وخصومهم، ولم تقتصر على السيف والسنان، بل امتدت الى خطب الخطباء وشعر الشعراء، فتجادل القوم وتناظروا، وظهرت المناقضات بين شعراء المدينة وشعراء مكة أو غيرها، ممن حاربوا الاسلام وخاصموه...

ظهور النقد الاسلامي:

تعرض النبي (صلى الله عليه وسلم) منذ العهد الاول للتبشير، لحملة عنيفة من شعراء قريش ومن والاهم، فقد هجوه وهجو اصحابه. وكان هجاؤهم مقذعا ومؤلما. وقد رد شعراء الانصار عليهم ونقضوا هجاءهم. ويعتبر ذلك اول عهد حقيقي للنقائض في الشعر العربي. وكانت هذه المناقضات بين شعراء النبي وشعراء خصومه.

تسبب الموقف المعادي الذي وقفه شعراء قريش من النبي وأصحابه، بحملة دينية وسياسية شنها الإسلام والمسلمون عليهم، بغية تحطيم قوتهم المعنوية المؤثرة على العرب، إذ كان للشعر تأثير سحري على نفوسهم.

وقد واجه الاسلام هذه القوة السحرية للشعر، فأبطلها، بعد أن قام بتفكيكها في الايدولوجية الثقافية للمجتمع العربي. إذ غدا القران الكريم بديلا ثقافيا للشعر. وقد رسخ النقاد المسلمون هذا المعيار الفني في نفوس الافراد في المجتمع العربي الاسلامي، حين جاءهم البرهان من القران نفسه. إذ قرن اسم الشاعر باسم المجنون والساحر والكاهن وباسم الشيطان.. بينما قرن القرآن بالله عن طريق الوحي..

ولكن استمرت حملة شعراء قريش ومن والاهم على النبي وأصحابه وأهل الدعوة عموما، وتألم المسلمون منها وتأذوا من سهامها التب كانت تطال كرامتهم وتفتك بأعراضهم وتعتدي على

حرماتهم، وهنا أدرك المسلمين أن الحديد لا يفله الا الحديد، وان الشعر لا يفله الا الشعر، فسمح لشعراء المسلمين الرد على هجاء قريش والذود عن النبي واصحابه، وبرز مجموعة من الشعراء للدفاع عن الاسلام والمسلمين، وفي طليعتهم حسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبدالله بن مالك.

إن ظهور فريق من الشعراء المسلمين وانتصارهم بشعرهم للإسلام والنبي وأصحابه وتفنيدهم لدعاوى خصومهم، هو الذي مهد للإسلام السبيل لمراجعة الموقف النقدي من الشعر والشعراء، إذ لم يعد من الجائز إدانة الشعر والشعراء بالمطلق ومن بينهم دعاة للإسلام ومحاربون ومدافعون عنه.. وأيّد القران الكريم هذا الموقف النقدي المستجد، بعد أن أصبح للإسلام شعراؤه، فنزلت سورة الشعراء، وفيها الآيات البينات:

"والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون".. (سورة الشعراء 224-226).

نظرية الإلتزام:

وعلى هذا الاساس، فإن نظرة القرآن إلى الشعر، تماثل اليوم ما يعرف بنظرية الالتزام. إذ تجعل الفن في مصلحة المجتمع، كما تجعل الالتزام هو الأساس في العمل الفني: "مرتفعة به عن خدمة الأغراض الفردية، ليكون بالتالي في خدمة أهداف الأمة الكبرى والنبيلة. فالشعراء ملتزمون بمصلحة الجماعة وبمبادئها، إذا كانوا حقا شعراء". وهذا كله يفهم من خلال روح الآيات وطبيعة الدعوة، على قاعدة أن الفن يجب أن يجند لخدمة الدين.

فيجازي الله الذين يلتزمون بهذه المبادئ من الشعراء: " **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا**"، وأما الذين يخالفون هذه المبادئ من الشعراء فسيعاقبهم الله جراء عدم التزامهم: " **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**"..

عمود الشعر العربي الاسلامي:

كان القدماء قد استنتجوا من الشعر العربي الجاهلي، عمودية ثابة توحّد حولها الشعراء الجاهليون، واتخذوها نظاما نظريا ثابتا بنوا عليه قصائدهم، الا ان مثل هذا الاساس قد زعزعه القرآن الكريم ودعا الشعراء للخروج منه، دون أن ينهي عن قول الشعر بالمطلق، وترك الباب مفتوحا للشعراء المسلمين للتوحد حول عمودية جديدة للشعر الاسلامي، لا تشكل نقيضا تاما لعمودية الشعر الجاهلي. بل عمودية معدلة عن السايقة في معظم بنودها.. وهي تتلخص على ما نرى بالتزام الشعراء بالأمور التالية:

1- استدعاء الشعر المؤمن الذي يؤيد الدعوة الاسلامية ويدافع عنها: الشعر الموحِّد والموحَّد.
2- استدعاء الشعر الذي يرفض دورة الظلم ولا يجاريه مطلقا.
3- تحرّي دورة العدل أثناء عملية الابداع الشعري عند الشعراء.
4- المعادلة بين القول والفعل، على الشاعر أن يفعل ما يقول.
5- أن يحمل الشعر في ثناياه روح الانتصار الاسلامي.
6- أن يكون مناقضا للإثم والغواية والضياع، فلا يلتقي معها جميعا.

موقف القران من الشعر والشعراء:

- القرآن الكريم ثبت الموقف النقدي الجديد الذي يقسم (يفرز) الشعراء إلى فئتين، فئة ضالة غاوية، وفئة مؤمنة صالحة. وقد حمل (هاجم، فند) على الفئة الأولى لضلالتها ولمعاداتها له. وميز شعر الفئة الثانية بل أيّدها لأنها مؤمنة، ومدافعة عن الاسلام، وأذن لها باستعمال سلاح الشعر لقتال اعداء الإسلام معنويا، تمهيدا لقتالهم بالسيف.
- فالنص القرآني فرق بين الشعر الذي يتحد من حيث مصدره بالوحي الديني. وبين الشعر الذي يأتي عن طريق الشيطان..
- الموقف النقدي الاسلامي الجديد، الذي كان يواكب ظهور فريق من الشعراء المسلمين، لم يعد معاديا للشعر بالمطلق. ولكنه كان يرفض بل يعادي لونا معينا من الشعر. إنه شعر

1- العصبية: الذي جهد الاسلام لكسر حدتها .

2- المنافرات: التي كانت تغني أمجاد القبيلة في الجاهلية.

3- الهجاء: الذي كان يؤذي النفس ويورث الحقد، ويهتك بالاعراض ويشتت القوم.

4- الغزل الحسي (المادي أو الماجن): الذي كان يفسد عقول الشباب.

- القرآن الكريم حمل على الشعراء الجاهليين، غير أنه لم يحمل على الشعر، لأن الشعر فن، فالفن لا يفضي إلى الضرر إذا كان ملتزما بمصلحة المجتمع.. بل على العكس يكون مفيدا للمجتمع اذا كان في خدمة أهداف الأمة النبيلة.
- فالحملة المعادية على الشعراء كانت تشمل فئة من الشعراء المشركين الذين لا يلتزمون بمبادئ الدين الجديد، ويستثني القرآن الكريم من هؤلاء الشعراء الشعراء الذين أمنوا والتزموا بمبادئ الدين الجديد.

النقد النبوي:

النقد النبوي شديدة الاتصال بالنقد القرآني. إذ أوضح النبي (صلى الله عليه وسلم) قواعد النقد الإسلامي للشعر العربي، وثبت أركانه التي اعتمدها، قولا وعملا.

- رأى النبي في الشعر كلاما مؤلفا، منه ما يوافق الحق، وكان بنظره جيد حسن. ومنه ما لم يوافق الحق، وكان يرى أنه لا خير فيه. كما قسم الشعر إلى نوعين: خبيث وطيب. فالشعر الذي يوافق الرسالة الاسلامية طيب، أما الشعر الذي يوافي الجاهلية، فهو خبيث، ولذلك نرى أنه وقف من شعر امرئ القيس موقفا دينيا صارما، فقال عنه: "إنه قائد الشعراء إلى النار". حيث يستبعد الشعر الذي يتعارض مع الأهداف الاسلامية، ويقاتل كل من يقف عثرة في وجه قيام الدين الجديد.
- فقد أهدر دم كعب بن زهير وأسقط شعره، حيث سخر من المسلمين، وآذى النبي وآذى أبا بكر الصديق. فقال النبي: "من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله". فكتب اليه اخوه بجير يخبره قال له: "انج وما اراك بمفلت" وكتب اليه بعد ذلك يأمره أن يسلم ويقبل إلى رسول الله. وهذا ما حصل بالفعل، إذ أقبل على الرسول، وأنشد قصيدته الشهيرة، التي مطلعها:

  بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يجز مكبول
- تتجلى أعلى قيمة نقدية ثبوتية من قضية الشعر في عصر النبي، حين أمر أصحابه ومن والاهم من المسلمين، بعدم رواية الأشعار التي ينظمها شعراء قريش المعارضون، ممن حقدوا على الدين الجديد وعارضوه..
- وأخيرا دعا النبي أيضا إلى قيام جبهة الشعراء المسلمين، تعارض ما سعت إليه قريش، من تنظيم جبهة مناوئة للإسلام، كانت تضم عددا من الشعرا وقادة الرأي.

موقف الخلفاء الراشدين والصحابة من الشعر والشعراء:

إن الحقبة الراشدية التي ورثت الدولة الاسلامية من الحقبة النبوية، كانت تتابع المسيرة الاسلامية فعلا وقولا، كما أراد النبي نفسه. ولذلك نجد رجال الصحابة يتبنون موقف النبي من الشعر ويتابعونه.

تمسك الصحابة إذا بمبادئ النقد الأدبي التي أرسيت في الحقبة النبوية واحتذوها ولم يحيدوا عنها.

النقد في العصر الأموي:

حفل العصر الأموي بحركة ناشطة على جميع المستويات: السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية والدينية والعلمية. وقد جعلهم هذا العصر الجديد بكل فتوحاته العسكرية والثقافية، ان يندفعوا في تجديد أدب أمتهم، حتى يكون في مقدورهم اللحاق بالتقدم الذي تحقق على سائر المستويات.

بسبب الصراع على الخلافة بين الامويين والهاشميين والزبيريين، وما انشق عنهم من احزاب سياسية وفرق دينية، اشتد العصف السياسي اشتدادا قويا في العصر الأموي، وكان منهم من يوالي، وكان منها من يعارض. وسحب الجدل السياسي والديني أذياله على منابر وساحات هؤلاء جميعا. ثم استتبعه الجدل الثقافي بسبب تأثيره القوي على الناس. وأصبحت له ساحاته ومنابره الخاصة به.

وما كاد الأمويين يحسمون مسألة الخلافة لصالحهم، وينقلون عاصمتها إلى حماهم دمشق، حتى بدأت تلوح في سماء الأدب العربي، معالم مدرستين أدبيتين واحة في الحجاز والثانية في البصرة. نهضت الأولى على خلفية فن الغزل، متنقلة بين المدينة ومكة، بينما شعر الهجاء، متنقلة بين

البصرة والكوفة. فاستقلت مدرسة الغزل عن سائر الشعر العربي، على يد عمر بن أبي ربيعة. واستقلت مدرسة الهجاء، على يد شعراء النقائض: جرير و الفرزدق والأخطل والراعي النميري، وتوطنت كل مدرسة في بيئة شعرائها الأول في الحجاز لم تبرحه والثانية في الشام والعراق لم تبرحهما.

وفي كنف هاتين المدرستين، بدأت حركة النقد الأدبي وتنشط على يد العلماء والشعراء.

النقد الأدبي في الحجاز:

وأول صور للنقد الأدبي ناتقي بها في بيئة الحجاز إبان العصر الأموي، هي في الواقع امتداد لاتجاه سابق. وبعبارة أخرى، هي صورة للأحكام غير المعللة، التي تذكرنا بأحكام نقاد العصر الجاهلي وصدر الإسلام.

أولا: المطلع على تاريخ النقد الأدبي في الحجاز زمن الأمويين يدهشه ما يرى من اهتمام عام بالنقد على جميع المستويات وبين مختلف الطبقات. وقد أسهم في هذا النقد الرجال والنساء والشعراء وغير الشعراء. كل على قدر ذوقه وفهمه ونوع ثقافته. هذا الاهتمام بالنقد والإقبال عليه، كان وليد الاهتمام بشعر الغزل، وما يدور حوله من جدل ونقاش بين الناس أنفسهم في مجالسهم ومنتدياتهم. ومن عجيب الأمر أن نجد هذا الحماس الشديد للنقد حتى بين موالي الشعراء أنفسهم داخل المجالس والمنتديات الخاصة التي كانت تعقد لهذا السبب.

ثانيا: كان لمدينتي الحجاز (مكة والمدينة) شأن علمي. فأما مكة فلأنها كانت منبع الإسلام وبها كانت الأحداث الأولى من دعوة قريش للإسلام، وبها كان التشريع المكي الذي أقر فيها الكثير مما كان يفعل من مناسك الحج. وأما المدينة، فمهجر النبي، وأصحابه، وبها كان أكثر التشريع الإسلامي، وكانت منبعا لأكثر الأحداث التاريخية في صدر الإسلام، وبها حدّث النبي أكثر حديثه.

فلا شك إذن: إن كانت مكة والمدينة مركزين من أهم مراكز الحياة العلمية في ذلك العصر، يقصدهما طلاب الحديث وطلاب التاريخ.

ثالثا: مثلما كان للحجاز شأن عظيم في الحياة العلمية، فقد كان له شأنه المادي العظيم على مستوى الثروة والغنى. من تشييد الدور والقصور وتجاوز ذلك إلى ألوان من الترف في الطعام والشراب والملبس، بسبب مغانم الفتوحات.. وبسبب ذلك كله، انتشرت دور الغناء في مدن الحجاز، وأقبل عليها العامة، كما عقدت له المجالس الخاصة التي كان يختلف إليها الأشراف والشعراء والفقهاء، وغيرهم من ذوي المكانة والوجاهة، بالإضافة إلى عشاق الغناء وأهل الفن والأدب.

ولم تكن هذه المجالس مقتصرة على الغناء أو الرقص، وإنما كانت أيضا مجالس للأدب، يهذب فيها الشعر وينقح ويرقق بما يتمشى والذوق والموسيقى..

رابعا: كان لموسم الحج أثره في حياة أهل الحجاز عامة وأهل الغناء والشعر منهم خاصة، إذ بدا وكأنه مناسبة سنوية عظيمة تجمع وتؤلف وتقرب، ليس بين الفرد وربه وحسب، وإنما بين هؤلاء الناس فيما بينهم، فيتصلون ويتواصلون بما كان بينهم من جوامع أدبية وعلمية ودينية.

صور النقد المروي في العراق:

أولا: اتصلت بحركة الشعر التي كانت رائجة للغاية في العراق، زمن الأمويين، حركة نقدية واسعة، تمثلت فيما كان يروى من أخبار العلماء والأدباء والشعراء والنقاد، الذين كانوا يسمعون الشعر في القصور والدور والأسواق، ويعلقون عليه بآراء سريعة ذات طابع تأثري، تتصل بمفهوم الشعر وتقاليده وصفاته وأغراضه، كما تتصل بألفاظه ومعانيه، والدرجة الفنية التي يشتمل عليها. ناهيك عن أصحابه الذين كانوا ينالون حظهم من النقد الساخط والمجرّح والذي يقف من

شعرهم موقفا سلبيا، أو كان يمدحهم ويثني على شعرهم ويعلل ذلك بأسباب وقرائن، تصب كلها في صالحهم وتقف منهم موقفا ايجابيا، معللا أو غير معلل.

ثانيا: ومما قوّى ظهور الشعراء وألدادهم من النقاد في العراق، قيام سوق المربد في البصرة وسوق الكُناسة في الكوفة، مقام سوق عكاظ في الجاهلية، إذ سرعان ما تحولا إلى مسرحين كبيرين، يغدو عليهما شعراء البلدتين، ومن يفد عليهما من البادية، لينشدوا الناس ما صاغوه من اشعار.

ثالثا: وقد استطاعت سوق المربد أن تساهم بفعالية قوية في نشوء حركة شعراء النقائض في العراق عصر ذلك. ذلك أن فن الهجاء القديم سرعان ما تحول على مسرح المربد إلى فن شعري جديد عرف بفن النقائض. لأنه أصبح على يد جرير والفرزدف إلى مناظرة واسعة في حقائق عشيرتي الشاعرين وحقائق قيس وتميم، وكان يحاكيهما كثير من الشعراء، ويتجمع حولهم الناس، يصفقون كلّما مر بهم بيت نافذ الطعنة ويهتفون ويصيحون، فينحاز فريق إلى هذا كما ينحاز فريق إلى ذاك. ويقف الحياديون موقف الناقد المحايد الذي يغار فقط على الشعر وتقاليده، فيسهم من خلال نقده بتطويره وإعلاء شأنه.

رابعا: وكانت تعقد في سوق المربد وكذا في سوق كناسة، مجالس العلم والأدب، وحلقات المناشدة والمفاخرة. وإليه كان الشعراء يتوافدون ومعهم رواتهم للمناشدة والمفاضلة أو المحاكمة.

النقد في العصر العباسي:

مع اقبال القرن الثاني الهجري وإطلالة الدولة العباسية بعد اندحار الأمويين، استمرت الرغبة في اللغة والادب التي عرفت لدى خلفاء بني أمية، فاتصلت بالدولة العباسية، خصوصا في عصرها الأول الذي كان يمثل بحق العصر الذهبي. من حيث السياسة والدولة، ومن حيث نزوع الحضارة العربية إلى الترف واستكمال عناصر مقوماتها. ومن حيث نشوء أكثر العلوم الاسلامية والعربية، وبدء تدوينها. ونقل معظم علوم اليونان والكثير من علوم الفرس والهند إلى اللغة العربية.

فمن ضروب العلوم التي نهض لها العلماء في العصر العباسي الأول المبادرة إلى: جمع وتدوين الكثير من اللغة والاشعار والآراء الآراء النقدية. وكذلك الأهتمام بتدوين ما نقل إلى العربية من أقوال اليونان والفرس والهند في كل ما يتصل بعلوم البلاغة والبيان وقوانين الفن واللغة والشعر وهيأة الألفاظ وقواعد النحو على حد سواء..

مرحلة التأليف والتصنيف:

ومع ابتداء النصف الثاني من القرن الهجري الثاني، بدأ الاتجاه العلمي والتصنيفي ينحو نحو التأليف، وذلك بوضع كتب تدون الشعر وتصنفه، كما فعل حماد الراوية حين دون الاشعار وصنفها في كتب ودواوين كالمعلقات مثلا، أو تدون الآراء النقدية واللغوية وما يتصل بها من وجوه المسائل الأدبية والشعرية..

ومن علماء العصر العباسي الأول من اهتموا بالنقد الأدبي ونهجوا فيه منهجا علميا وتاريخيا. وقد تمثل هذا المنهج، في وضع كتب جمعوا فيها أشعار بعض الجاهليين والاسلاميين، ورتبوا أصحابها في طبقات وذكروا طرفا من حياتهم الأدبية، ودونوا في شعرهم آراء وأقوال النقاد والعلماء والرواة. وتعتبر مثل هذه الكتب والتصانيف النقدية المبكرة، هي التجربة النقدية المكتوبة الأولى، التي خلفت عصر النقد المروي الذي استمر إلى أوائل عصر الدولة العباسية.

الكتابة النقدية:

لعل أول ما وصل إلينا من الكتب النقدية، هو كتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي (150-232 هـ) والذي عاش صاحبه معظم حياته في القرن الثاني للهجرة، أي في مطلع العصر العباسي الأول.. فمن هو ابن سلام الجمحي؟ وما حوى كتابه؟ وكيف أتى منهجه في تأليفه؟

ابن سلام الجمحي:

انه ابو عبدالله محمد بن سلام الجمحي البصري، مولى قدامة بن مظغون الجمحي. من علماء أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث الهجري. وأحد الاخباريين والرواة، كما قال فيه ابن النديم صاحب كتاب الفهرست. وأحد كبار نقد الشعر والنفاذ فيه. ولد سنة 150 للهجرة بالبصرة، وتوفي في سنة 232 للهجرة ببغداد. وعاش معظم حياته العلمية في البصرة، بين علماء اللغة ونحاتها ورواة أدبها وأخبارها، فتأثر بأمثاله من العلماء كخلف الاحمر والاصمعي ..

كتاب طبقات الشعراء:

تميز ابن سلام الجمحي عن علماء جيله، بأنه أول من قام بينهم بمحاولة جادة، في جمع شتات آراء سابقيه ومعاصريه في النقد العربي وتنظيمها تنظيما علميا في كتاب (طبقات الشعراء). فكان بذلك قد وضع اللّبنة الأولى في بناء النقد العربي وتوسعة آفاقه.

ذلك ان ابن سلام الجمحي كان يمثل الفكر النقدي السائد في مجتمعه، لأنه كان عالما بالأخبار وأيام الناس، كما كان اخباريا حافضا، واخباريا محافظا وراويا عالما بالأخبار، كما وصفه معظم الدارسين والباحثين.

إن عمل ابن سلام الجمحي النقدي يستند إلى الرواية الاخبارية في تقويم العمل الأدبي وتصنيفه للشعراء في طبقات. ولذا مكننا أن نقول إن ابن سلام لم يؤلف كتابا، بل كان يجمع كتابا من الآراء النقدية التي كانت متداولة حتى عصره. وهذا ما حدا ببعض الباحثن للقول فيه أن كتابه: (طبقات الشعراء)، قائم على الرواية إلى درجة أننا لم نشعر بوجود له في كتابه. إنه غائب دائما ومختبئ خلف الرواة والإخباريين. ولعل هذا عائد إلى إيمان الناقد العربي بالثقافة السائدة، على أنها ثقافة فاعلة في المجتمع. وهذا ما كان يرتب على الناقد عدة أمور من أهمها:

1- التفكير من خلال ما هو سائد.
2- الإيمان بصحة أقوال السلف.
3- ذوبان الذات في المجموعة، والفرد في الكل.
4- حضور الماضي.
5- حرية المجتمع.
6- منهجية جمع الروايات والاخبار والاحاديث. وهذا علم اختص به المسلمون لتدوين الحديث النبوي الشريف.

هدف النقد:

الواقع ان ابن سلام الجمحي قد شرع في التأليف في النقد الأدبي، لإيمانه أن الكتابة في هذا الموضوع قد ترسي دعائم النقد الأدبي في الحياة الأدبية. غير أن مثل هذا الأمر يتطلب ظهور عوامل أخرى، أهمها: الإحساس بالتغيير والتطور في:

الذوق العام

أو في طبيعة الفن الشعري

أو في المقاييس الإبداعية التي يستند اليها الشعر.

ذلك أن الإحساس بالتغيير والتطور، هو الذي يلفت ملكة النقد، إلى حدوث مفارقة ساطعة متباعدة الطرفين، حتى تجعل الناظر، يرى فيها القديم كما يرى فيها أثر الجديد بكل وضوح.

ويبدو أن ابن سلام الجمحي حصر رؤيته النقدية ضمن تلك النظرة الثابتة التي لازمت النماذج الشعرية الجاهلية باعتبارها المقياس الفني الأعلى للرؤيا النقدية. ونرى في كتابه طبقات الشعراء أن كل ما اهتدى اليه بنفسه أو اكتسبه من معارف السابقين، بعد أن نظر فيه بعين الفاحص المدقق، وصبغه بصبغة البحث العلمي. بحيث جاء كتابه خلاصة لما قيل في عهده، في أشعار الجاهليين والإسلاميين.

منهج ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات الشعراء:

جعل ابن سلام كتابه طبقات الشعراء في خمسة أقسام نذكرها كما يلي:

أولا: المقدمة: وقد عرض فيها لنشأة بعض العلوم العربية وبعض قضايا النقد والأدب.

ثانيا: طبقات شعراء الجاهليين.

ثالثا: شعراء المراثي.

رابعا: شعراء القرى.

خامسا: طبقات الشعراء الجاهليين.

- ولعل تقسيمه الشعراء حسب أزمانهم إلى جاهليين ومخضرمين وإسلاميين، يوحي لنا بقصد أو بغير قصد، أنه كان يفضل اتباع المنهج التاريخي، وذلك لما له أثر في تبيان مدى

ما لحق الشعر والنقد من تطور، ومدى الإضافة الإبداعية التي أضافها المتأخرون على المتقدمين.

- أما تقسيمه شعراء كل عصر إلى طبقات، إنما كان يوحي لنا أن نستنتج أن التفاوت بين الشعراء، كان بسبب:

1- المنزلة الأدبية

2- أو بسبب سيرورة الشعر.

3- أو بسبب كثرة الإنتاج الأدبي أو جودته.

4- أو بسبب القدرة على التصرف في فنون الشعر المختلفة.

- أما تصنيفه الشعراء بحسب بيئاتهم مثل: شعراء القرى، وشعراء المدينة، وشعراء مكة، وشعراء الطائف وشعراء البحرين، إنما كان يريد به توضيح أثر البيئة في الإبداع الشعري، والإقرار بأن البيئات الجاهلية، لم تكن جميعها سواء في انتاج الشعر وابداعه.

ونحن نستدل من خلال حديث ابن سلام عن شعراء الطبقات:

أن الناقد كان ينهج منهجا معينا. وذلك بإيراد طرف عن حياة الشاعر وشعره، مع الإلمام ما أمكن بكل ما قيل عن الشاعر وشعره في القديم وفي الحديث، دون أن ينسى تسجيل رأيه الخاص فيه.

الجاحظ وآراؤه النقدية:

في منتصف القرن الثالث الهجري، توفي أبو عثمان عمرو بن جاحظ وذلك في عام 255هـ. وكان من كبار رجال المعتزلة ومؤسس إحدى فرقها (الجاحظية) المعروفة. وكتابة الجاحظ في معظم مؤلفاته التي نافت عن ثلاث مائة وستين مؤلفا في شتى فنون المعرفة، يلتقي فيها العلم بالأدب، ولا يقتصر فيها على البراهين النظرية، وإنما كان يعمد الجاحظ فيها للاستعانة بالشعر وبالتاريخ وبالوقائع والتجاريب.

مؤسس علم البلاغة:

يعتبر الجاحظ مؤسس علم البلاغة العربية. إذ توسع في دراستها، وقدم الكثير من الآراء والأفكار الشخصية التي تتمحور حولها. ولهذا اعتبر بحق واحدا من النقاد القدماء الكبار، إذ النقد العربي القديم كان يقوم أساسا على علوم البلاغة العربية وقضاياها.

ومن أهم كتب الجاحظ التي عالجت مسائل النقد والشعر، وقضايا البيان والبلاغة كتابان هما (البيان والتبيين) أولا و(الحيوان) ثانيا. وقد طرح الجاحظ في هذين الكتابين جملة من قضايا النقد الأدبي والتي لا زالت حتى اليوم موضع مدارسة من قبل النقاد، وهي تتمثل في المسائل التالية: اللفظ والمعنى، النظم، مطابقة الكلام بمقتضى الحال، السرقات الشعرية، فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام، البيان العربي وما يشتمل عليه من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية، بالاضافة إلى مباحث أخرى أطلق عليها أسم (البديع).. وكذلك كان للجاحظ رأيه في الشعر وفي نقد النحاة والرواة، وفي مجمل قضايا النقد المختلفة، وفي طليعتها موقفه من الصراع بين القديم والحديث.

اللفظ والمعنى:

على صعيد مسألة (اللفظ والمعنى)، عمل الجاحظ على البحث في هذه القضية من زوايا متعددة. فهو يرى مثلا أن أحسن الكلام ما كان معناه في ظاهر لفظه. وذلك لا يتم برأيه إلا من خلال المزاوجة بين المعنى الشريف واللفظ البليغ. يقول الجاحظ: "أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه.. فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع، بعيدا عن الاستكراه، ومنزها من الاختلال مصونا عن التكلف، صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة".

- ويرى الجاحظ أن المعاني هي في متناول جميع الناس. وأن الكلام لا يكتفي بالمعنى البليغ وحده حتى يكتسب صفة البلاغة، وإنما هو محتاج إلى اللفظ الفصيح والأسلوب القوي المحكم بكل عناصره، حتى يكون له تأثيره القوي في أسماع الناس.. وفي هذا الشأن يقول: "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني. وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج.... وفي صحة الطبع وجودة السبك..".

- ويجب أن لا يفهم من هذا القول أن الجاحظ ينكر المعاني وشأنها في بلاغة القول، لأنه ينوه في مكان آخر بألوان المعاني الغريبة العجيبة، والشريفة الكريمة، والبديعة المخترعة. وهو يبيّن أيضا كيف يتنازعها الشعراء، ويدعي كل واحد منهم أنها من بنات فكره...

- ويتحدث الجاحظ في معرض كلامه عن مسألة (اللفظ والمعنى) كيف أن لكل فن من القول، ولكل أديب ناثرا أو شاعرا، ألفاظه أو معجمه اللغوي الخاص..

- وكان يرى أن للمتكلمين ألفاظهم الخاصة التي يتحدثون بها في مجتمعاتهم، وأنهم يمتنعون عن استعمالها أثناء تحدثهم مع الناس العاديين..

الجاحظ وقضايا النقد الأدبي:

أولا: الشعر صناعة: ذلك أن الجاحظ كان يقدم اللفظ على المعنى ويقيس الشعر بمقياس جودته في أسلوبه وصحة طبعه.

ثانيا: تجنب السوقي والوحشي في الشعر: وقد دعى الجاحظ بوضوح هذه الدعوة، والتخلص من غرائب المعاني وتهذيب الألفاظ، إذ الجاحظ وكما يبدو أيضا، يأخذ في الكلام بمذهب الوسط، بحيث يترتب على الأديب أن لا يسرف في تنقيح الألفاظ وتهذيبها.. واتباع منهج وسط..

ثالثا: ثورته على النحاة والرواة: حمل الجاحظ على الرواة لأنهم يقصرون إلى غاياتهم من وراء روايتهم للشعر وكذلك الحال مع النحاة أيضا..

رابعا: العرب والمولدون والشعر: وإذ كانت المعركة على أشدها في عصر الجاحظ، بين العرب والمولدين، فقد تعصب الجاحظ للعرب على المولدين. فعنده إن عامة العرب في مجموعهم أشعر من عامة الشعراء المولدين في مجموعهم.

خامسا: نقد النحاة والرواة: يفضل الجاحظ رواة الكتاب وحذّاق الشعر في النقد على النحاة ورواة السير والأشعار.

سادسا: موقفه من الشعراء المولدين المطبوعين: وعرض الجاحظ للشعراء المولدين والمطبوعين بالذكر وفاضل بينهم في الطبع..

سابعا: موقفه من أبي نواس: ويرى الجاحظ أنه لا يعرف بعد بشار بن برد أشعر من أبي نؤاس. ومع ذلك فقد كان يعيب على أبي نؤاس (الغلو) الذي كان يتمادى فيه إلى حد الكفر..

ابن قتيبة وآراؤه النقدية:

بين عامي (213-276)هـ، عاش ابن قتيبة الدينوري الفارسي الأصل، والذي برز كعلم من أعلام النقد والأدب واللغة في ذلك العصر. فهو من (مرو) وتربّى ببغداد، وتولى القضاء بدينور، فنسب إليها، ثم صار من شيوخ الأدب واللغة ببغداد. فظل طلابه يأخذون العلم على يديه ويقرؤون في كتبه وأماليه حتى وفاته، فقد ذكر له في الفهرست (33) كتابا بأسمائها في علوم مختلفة من لغة ونحو أدب وشعر وحديث وفقه وتاريخ ومذاهب نقدية. ولعله أول من نقل التأليف في الأدب والنقد نقلة نوعيّة، من حيث: الترتيب وقلة الاستطراد، قاصدا إلى ذلك قصدا، بحيث قال في مقدمة كتابه (عيون الأخبار): "وقرنت الباب بشكله، والخبر بمثله، والكلمة بأختها، ليسهل على المتعلم علمها، وعلى الدارس حفظها".

بين نقاد عصره:

وللوقوف على موقع ابن قتيبة من نقاد عصره وموقفه من جملة الآراء النقدية التي كانت متداولة في عصره، فأضاف إليها أو صوبها وعدّلها وجعلها تستقيم في بنيان مدرسة نقدية خاصة به، لابد من الإطلاع على كتابيه: أدب الكاتب والشعر والشعراء.

كتابه أدب الكاتب:

في أدب الكاتب يشكو ابن قتيبة في المقدمة من أهل زمانه، لأن معظمهم يتنكب عن سبيل الأدب ويتطيّر من اسمه ويكره العلم وأهله. وهو يرى أن العلم والعلماء في عصره، في أدنى الدرك. إذ العلم صار عاراً على أهله. وأما العلماء فهم مضمورون بكثرة الجهل. ويوجه ابن قتيبة سهام نقده، إلى الموغلين من علماء عصره في الثقافة الأجنبية، فيدعوهم إلى ضرورة الملاءمة بينها وبين الثقافة العربية، حتى لا تطغى الأولى على الثانية فتفسد أذواق الأجيال.

دعوته الكاتب:

ويحض ابن قتيبة الكاتب على أن تكون له (ثقافة عامة) تتمثل في الرياضيات وأصول الفقه، ودراسة أخبار الناس، وحفظ عيون الحديث، ليدخله في كتاباته، ويقنها بلامه، ويصنع بها أدبه ويزينه، ويجمله، ويصونه عن الكذب.

ويدعو ابن قتيبة الكاتب لترك التقعر في الكلام إثباتا أو تماشيا، مع الحديث النبوي الشريف: "إن أبغضكم إلى الثرثارون المتفيقهون المتشدقون". كما يدعوه إلى إيثار سهل الألفاظ ومستعمل المعاني، والعدول عن وحشي الغريب وتعقيد الكلام لاستكراهه. وعليه ان يمتنع عن إعطاء خسيس الناس رفيع الكلام، مع مراعاة أن ما يكتب به إلى الأكفاء والمساوين، ولا يجوز أن يكتب به إلى الرؤساء. وقد اعتبرت هذه الآراء النقدية من المبادئ التي تؤسس الإنشاء أو الكتابة.

غرضه من الشعر والشعراء:

وفي (الشعر والشعراء) يكشف ابن قتيبة عن الغرض الذي ذهب إليه في تأليفه الكتاب، فأورد ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) أخبار الشعراء وعصورهم ومنازلهم وقبائلهم وأسماء آبائهم. ولم يراع في ذكرهم الترتيب الزمني. فهو يذكر الجاهلي بعد المخضرم ربما، أو الإسلامي قبل الجاهلي أو بعد العباسي. علما أنه عرض لذكر (206) من هؤلاء الشعراء، وأورد لكل منهم ما وجده جيدا من شعره في مختلف الفنون والأغراض.

وقصد ابن قتيبة في (الشعر والشعراء) إلى المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل الأدب، والذين يقع الاحتجاج بشعرهم في الغريب والنحو، وفي كتاب الله وحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم). وتجاوز ذكر الشعراء الذين لا يعرف لهم أخبارا. كما اعتذر عن ذكر الشعراء المعروفين بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم، لأنه من الصعب أن يحيط بهم بكل دقة وأمانه، ولم يذكر في كتابه لمن غلب عليه غير الشعر، لأنه قل أحد له أدنى خط من أدب وطبع، إلا وقد قال شيئا من الشعر.

مسألة القديم والحديث:

دعا ابن قتيبة في مقدمة كتابه (الشعر والشعراء) إلى عدم التفريق إلا بالقيمة الفنية بين القديم والحديث، إذ الشعر القديم قد يكون جيدا وقد يكون رديئا. وهذه قاعدة تصح أيضا في الشعر المحدث. وبرأيه أيضا أن كل قديم كان حديثا في عصره.. ويتابع ابن قتيبة قائلا: "ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في جميع الازمان، وجعل كل قديم حديثا في عصره. ثم صار هؤلاء الشعراء مثلا قدماء عندنا ببعد العهد منهم.

فيشترط على الناقد من خلال اشتراطه على نفسه،ضرورة توخي الموضوعية والجدة تجاه الشعر، فلا يقدر إلا على أساس ما يتضمن من قيم الفنية وجمالية، دونما النظر إلى اعتبارات القدم أو الحداثة، أو النظر إلى تقدم صاحبه في الرتبة الاجتماعية أو غير ذلك.

أنواع الشعر:

يعتبر ابن قتيبة من أوائل النقاد العرب الذين جعلوا للشعر أنواعا متنوعة، من حيث صفاته الفنية، وقد قسمه إلى أربعة أضرب:

أولا: ضرب منه حسن لفظه، وجاد معناه، كقول أوس بن حجر:

أيتها النفس أجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

ثانيا: وضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته، لم تجد هناك فائدة في المعنى، كقول قائل:

ولما قضينا من مِنى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح

ثالثا: وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد بن ربيعة:

ما عاتب المرء الكريم نفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

رابعا: وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه، كما يقول الأعشى:

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاوٍ مِشلٌ شلولٌ شلشلٌ شوِلُ

قضايا نقدية أخرى:

تطرق ابن قتيبة إلى قضايا نقدية أخرى، منها:

- دلالة اللفظ والمعنى
- قضية الطبع والتكلف
- المفاضلة بين الشعراء
- عيوب الشعر
- التناسب بين الاقسام
- تقويم الشعر

ابن المعتز وآراؤه النقدية:

عاش ابو العباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بين عامي 247-296 هـ. وكان ياخذ الأدب في مطلع عهده به، عن أبي العباس المبرّد وأبي العباس ثعلب، وأبي علي العنزيّ. أما شعره يرويه عنه محمد بن يحيى، الصولي، تماما كما كان قد روى أحمد بن سعيد الدمشقي عنه أدبه.

وكما عرف ابن المعتز كشاعر مطبوع مقتدر، فقد عرف أيضا كأديب بليغ يخالط العلماء والأدباء ويعدّ من جملتهم. وقد كان ترك خلفه بضع عشر مؤلفا في فنون الأدب والبلاغة والشعر. منها ما وصلنا ومنها ما كان نهبا لعوادي الدهر. وقد ذكر لنا المرزباني، بعض مؤلفاته النقدية التي لم تصلنا، ومنها: (كتاب السرقات) و(رسالة في محاسن شعر ابي تمام ومساويه)، ونقل بعض صفحات في كتابه (الموشح) في ما دوّنه ابن المعتز من مآخذ العلماء على الشعراء.

مصنفاته:

ومن كتب ابن المعتز التي وصلت إلينا، نذكر: ديوانه وكتاب (الآداب) و (أرجوزة في تاريخ المعتضد الأمير والخليفة) و(طبقات الشعراء المحدثين) وكتاب (البديع). وهذا الأخير يعدُّ بحق أول بحث منهجي في البلاغة والنقد والشعر.

كتاب البديع:

وضع ابن المعتز كتاب البديع عام 274 هـ. وقد ألفه ردا على من كان يزعم من معاصريه أن بشار بن برد ومسلم بن الوليد وأبا نؤاس، كانوا قد سبقوه ألى هذا العلم الأدبي في شعرهم. فهو يقول في مقدمة الكتاب: "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكلام الصحابة والاعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين، من الكلام

الذي سمّاه المحدثون (البديع) ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نؤاس ومن قلدهم وسلك سبيلهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثُر في شعرهم، فعرف في زمانهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن، حتى سمي بهذا الأسم، فأعرب عنه ودلّ عليه".

غرضه من البديع:

ويشير إلى غرضه من تأليف الكتاب فيقول: "وإنما غرضنا من هذا الكتاب، تعريف الناس أن المحدثين لم يشبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع". ونراه يؤكد أنه أول من نظم وجمع فنون هذا العلم، فيقول: "وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد. وألفته عام أربع وسبعين ومئتين".

ويتضح لنا أن غرض ابن المعتز من كتاب البديع هو الإثبات أن دعاة التجديد من الشعراء المحدثين، لم يكونوا صادقين فيما زعموا من أن البديع هو من صنعهم واختراعهم، إذ ذهب ابن المعتز لحشد الأمثلة الكثيرة من الأدب القديم عند العرب التي تظهر أن هذه الأساليب البديعية، كانت كثيرة التداول لدى الشعراء والأدباء من قبل. ولذلك يمكن للمرء أن يستنتج أن المحدثين لم يسبقوا إلى هذا، ولكنه كثر في أشعارهم كثرة عظيمة حتى بات يُظن أنه عرف في زمانهم.

أبواب البديع:

يشتمل كتاب البديع على خمسة أبواب، تمثل فنون البديع الأساسية من وجهة نظر ابن المعتز، وهي: الإستعارة والجناس والطباق ورد أعجاز الكلام على ما سيقها والمذهب الكلامي. وبرأي ابن معتز أن المذهب الكلامي هو مذهب عمرو بن بحر الجاحظ.